٦

الإســلام والغـرب ..
تعــاون أم مواجهــة

obeikandl.com

obeikandl.com

هناك الآن أكثر من اتجاه بشأن العلاقة المفروضة بين الإسلام والغرب أو الإسلام وأمريكا باعتبارها الممثلة الكبرى للحضارة الغربية.

فهناك الغرب وأمريكا وبعض القوى المحلية عندنا تدعونا إلى الإلتحاق بالركب الحضارى الغربى والإندماج فى الحضارة الغربية والتخلى عن ديننا وحضارتنا وقيمنا أو على الأقل قصر علاقتنا به على العبادة الفردية والضمير وهؤلاء يقولون انه قد ثبت أن الحضارة الغربية حضارة عظيمة ويجب أن تسود العالم، أو يقولون أنه لا أمل ولا فرصة للمواجهة ومن الأفضل أن ننصاع لها، وهؤلاء بالطبع منافقون ومخادعون فلا الحضارة الغربية حضارة عظيمة، ولا هى حضارة ذات أخلاق، ولا هى قدر مقدور لا يمكن الفكاك منه، هؤلاء بالتحديد يدعوننا إلى الاستمرار فى أداء دور الضحية والذبيحة خاصة بعد أن شحذ الجزار سكينه وأصيب الآكلون بنهم شديد، وفضلاً عن أننا سنكون مجالاً للنهب فإنهم يطلبون منا أن نتخلى عن قيمنا وذاتيتنا ومبادىء ديننا وحضارتنا وهذا بالطبع مرفوض.

واتجاه آخر يقول بأن الحضارات تتفاعل مع بعضها البعض أو تتزاوج وأن الحضارة الغربية ليست غربية فقط بل إنسانية أى أنها استفادت من كل الحضارات التى سبقتها وتفاعلت وتزاوجت معها وخرجت فى النهاية لتكون حضارة الإنسانية كلها، وهذا الرأى خطير وبراق ولكنه خطأ، ولكى نعرف أنه خطأ ينبغى علينا أن نفرق بين أمرين أحدهما التفاعل والتزاوج والآخر التعاون فالتفاعل والتزاوج لا يتم إلا بين حضارات أو إبداعات حضارية من عائلة واحدة مثل الحضارة الرومانية واليونانية والإغريقية والجرمانية والسكسونية وهكذا.. وهذا التفاعل والتزاوج لا يتم بين حضارات من عائلات مختلفة، أى مختلفة نوعياً وكمياً، فلا يمكن مثلاً الحديث عن تمازج وتزاوج حضارى بين حضارة تقوم على الوثنية كالحضارة

الغربية وأخرى تقوم على التوحيد كالحضارة الإسلامية، والأمر هنا أشبه بعمليات التطعيم التى تتم فى النباتات، فلابد لكى تنجح عملية التطعيم هذه أن تكون بين أنواع معينة من النباتات تنتمى إلى عائلة واحدة ، أو عائلات متقاربة، ولكن هذا التطعيم يفشل تماماً إذا ما تم بين شجرتين لا ينتميان إلى عائلة أو عائلات نباتية متقاربة.

وفى الحقيقة فإن إمكانية التزاوج والتفاعل بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية أمر مستحيل، لأن أى دراسة متعمقة للأساسات التى قامت عليها كل من عائلة الحضارة الإسلامية وعائلة الحضارة الأوروبية لا تترك مجالاً للشك فى أن لكل منهما طريقاً مختلفاً وسياقاً خاصاً، لهذا يهدف الحديث عن التواصل الحضارى أو التفاعل الحضارى أو التزاوج الحضارى إلى الإلحاق والتبعية الحضارية باعتباره جزءاً أساسياً فى عملية الإلحاق الاقتصادى والثقافى والسياسي والسيطرة العسكرية.

وينبغى فى هذا الصدد أن نلتفت إلى مجموعة من النقاط، فالداعون إلى الإندماج فى الحضارة الغربية، ينسون نقطة أساسية وهى أن الحضارة الغربية لن تقبل الإندماج بها وأن تصبح جزءا منها يستمتع بنفس الحقوق الحضارية معها، إنهم فقط يعنون بالإندماج أى نظل تابعين وأن نظل مجالاً للنهب دون مقاومة، ففرنسا مثلاً التى أدمجت الجزائر فيها وجعلتها جزءاً من فرنسا لم تقبل أن تعطى الجنسية الفرنسية للجزائريين مثلاً ولم تقبل أن يكون لهم نفس حقوق الإنتخاب التى للفرنسى مثلاً!

والداعون إلى التزاوج والتفاعل الحضاريين مع الحضارة الغربية ينسون الظروف المشبوهة التى ظهرت فيها مثل هذه الدعوة، فهذا الموضوع لم يطرق بعيداً عن غايات ذات علاقة بالصراع الدائر بين القوى الإستعمارية والشعوب المقهورة والمستضعفة، فعندما طرح منظرو أوروبا هذا الموضوع

كانوا فى أغلبهم يرمون إلى سيادة الحضارة الأوروبية على العالم بكل ما تحمل من فلسفات وقيم ومعايير ومفاهيم، وذلك من خلال الترويج للحضارة الأوروبية وضرب الحضارات الأخرى، أو طمسها، أو الإنقاص من قدرها أو خلطها بما يلغيها، وهو أمر يؤدى بالشعوب إلى فقدان هويتها ومقومات شخصيتها الأساسية، وإلى ضرب عوامل وجودها المادى والثقافى المستقل، فتصبح مكشوفة أمام طغيان المستعمرين ثم تتحول إلى تابع ذليل تلتقط الفتات، وتقف على العتبات، دون السماح لها بالدخول إلى صدر البيت.

والشىء الوحيد الممكن فى العلاقة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية ولو من الناحية النظرية هو التعاون على أساس استقلال كل منهما وعلى أساس انفراد كل منهما بخصائصها الذاتية المتميزة دون أن تحاول السيطرة أو ظلم أو نهب الأخرى، والإسلام بالطبع يرحب بالتعاون ويدعو اليه فى إطار الاحترام المتبادل والعلاقات المتكافئة، ولكن هل تقبل الحضارة الغربية التخلى عن النهب والظلم والعنصرية والعنف من أجل هذا التعاون؟!

لنأخذ مثلاً مجال العلوم الطبيعية، وهذه تنقسم إلى قسمين، قسم خاص بالحقائق العلمية والمكتشفات العلمية، وقسم خاص بتوجيه هذه العلوم فى اتجاه معين أى لانتاج سلعة ضرورية مثلاً أو كمالية، للقضاء على مرض أو لنشر مرض! لإنتاج أدوات تسعد الإنسان أو لإنتاج أسلحة الدمار الشامل، لإصلاح البيئة والمحافظة عليها أو لتخريبها وتلويثها.

أى أن هناك شقاً علمياً وهناك شقاً قيمياً، والحضارة الإسلامية مثلاً عندما كانت متقدمة علمياً، كانت توجه هذه العلوم لإسعاد الإنسان وتلبية حاجات كل البشر، بل وكانت تسعى سعياً لنشر العلوم ولا تحجبها عن

الآخرين، لأن حبس العلم جريمة فى الفقه الإسلامى، أما الحضارة الغربية فإنها عندما تقدمت علمياً استخدمت منجزات العلم فى تحقيق أكبر وسائل النهب وقهر الشعوب الأخرى وظلمها بل انها أيضاً تحجب العلم عن الشعوب الأخرى، بل وتحاكم من يجرؤ على نقل شىء منها لبلاده «قضية الدكتور مهندس عبدالقادر حلمى مثلاً» بل تغتال كل من ينجح علمياً فى البلاد الأخرى.

على أية حال من الناحية النظرية يمكن التعاون فى الاستفادة من العلوم الطبيعية ونقلها، دون ربط ذلك بغايات وأهداف استخداماتها أي فى الشق العلمى دون الشق القيمى، ولكن هل تقبل الحضارة الغربية ذلك وهى التى تغتال العلم، وتحرم نقل العلم وتحاكم من يفعل ذلك، بل وتضرب أى نهضة علمية فى أى مكان خارج دائرتها الحضارية؟!

نؤكد مرة أخرى أن الإسلام يحض على التعاون، ويحرص عليه، ولكن التعاون غير الإندماج والتزاوج والإلحاق، التعاون يقوم على استقلال حضارى كامل فالحضارة الغربية عندما نقلت العلوم الطبيعية من الحضارة الإسلامية أخذتها دون شقها القيمى أخذتها وهضمتها ووجهتها وفقاً لمعاييرها الحضارية، وجهتها للتدمير والتلويث والإفساد وتحقيق أكبر قدر من آليات النهب، أما نحن فمن المفروض أن نأخذ العلوم الطبيعية من الغرب دون شقها القيمى فنهضمها وتصبح جزءاً من شخصيتنا الحضارية المستقلة فنوجهها طبقاً لمعاييرنا وقيمنا الحضارية فى إسعاد الإنسان وتحقيق الرفاهية لكل البشر وليس لنا وحدنا.

هل هناك فرصة للتعاون مع الغرب ؟..

قلنا أنه لا يمكن ولا نقبل لا الإلحاق الحضارى مع الغرب ولا التزاوج والتفاعل بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية لانتمائهما إلى عائلتى

حضارتين مختلفتين ولأن هذا فى النهاية يعنى التحول إلى تابع ذليل يظل خاضعاً للنهب والسيطرة. وقلنا إن العلاقة الصحيحة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية هو التعاون على أساس الإستقلال الحضارى الكامل والشخصية الحضارية المستقلة، ولكن هل هناك فرصة التعاون؟.. هل يقبل الغرب هذا التعاون؟.. هل تاريخنا معه يسمح بذلك؟.. هل تركيبة الحضارة الغربية تسمح بذلك؟..

إن تركيبة الحضارة الغربية تقوم على النهب والقهر والعنصرية ورخاء ورفاهية أهل الحضارة الغربية جاء من نهب ثروات الشعوب الأخرى واسترقاق أهلها، ولكى تستمر هذه الرفاهية لابد أن يستمر النهب والقهر، فهل أهل الحضارة الغربية مستعدون للتوقف عن النهب والقهر والعنصرية؟ هل هم مستعدون للتخلى عن رفاهيتهم القائمة على ثروات الآخرين من أجل التعاون معنا أو مع غيرنا؟

أعتقد أن ذلك صعب، بل يبدو مستحيلاً، وبالتالى فإمكانية التعاون بشروطها الصحيحة صعبة أيضاً، بل وتبدو مستحيلة وحتى إذا حدثت المعجزة وتخلى أهل الشمال عن القهر والعنف والعنصرية فماذا يبقى من الحضارة الغربية؟ إنهم هنا يسقطونها تماماً، أنهم يفقدونها سماتها الأساسية، أى يقبلون الإندماج فى نمط حضارى آخر وفى حالة دخولهم فى النمط الحضارى الإسلامى مثلاً، فإننا لن نعاملهم معاملة التابع، بل معاملة الإسلام التى تقول أنهم أصبحوا مثلنا تماماً لهم ما لنا وعليهم ما علينا.

* * *

وإذا كانت تركيبة الحضارة الغربية لا تسمح بالتعاون إلا بانتفاء خصائص الحضارة الغربية ذاتها، وبالتالى فالتعاون هنا صعب ويكاد يكون

مستحيلاً، فإن رأى أهل الحضارة الغربية فينا وموقفهم منا لا يسمح بقيام مثل هذا التعاون، فهم ينظرون إلينا نظرة صليبية عنصرية حاقدة لا تقبل بأقل من تدمير حضارتنا تماماً وفى قول لا يخلو من الدلالة يقول المعلق السوفييتى فاسييليف: «إن أمريكا الآن تنظر إلى العالم الإسلامى بوصفه امبراطورية الشر الجديدة التى حلت محل الإتحاد السوفييتى السابق الذى كان إمبراطورية الشر القديمة والتى تركزت كل الجهود الأمريكية خلال أكثر من أربعين عاماً للقضاء عليها».

وهذا المعلق السوفييتى المشهور فاسييليف استخدم فى الحقيقة نفس المصطلح المستخدم دائماً من قبل الأوروبيين والأمريكيين تجاهنا، فالبابا أوربان الثانى الذى فجر الحروب الصليبية قال فى مجمع كلير مونت فى سنة ١٠٩٥: «إن إرادة الرب تحتم على المسيحيين تخليص بيت المقدس من أيدى إمبراطورية الشيطان». وعندها خر الكهنة الحاضرون راكعين تحت قدمى البابا!

والبارون دى كارافو يقول: «أعتقد أن علينا أن نعمل جاهدين على تمزيق العالم الإسلامى وتحطيم وحدته الروحية مستخدمين من أجل هذه الغاية الإنقسامات السياسية والعرقية.. دعونا نمزق الإسلام بل نستخدم من أجل ذلك الفرق المنشقة والطرق الصوفية.. وذلك لكى نضعف الإسلام، لنجعله عاجزاً إلى الأبد عن صحوة كبرى»*.

ويقول يوجين روستو اليهودى: «إن الحوار بين المسيحية والإسلام كان صراعاً محتدماً على الدوام، ومند قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب أى خضعت الحضارة الإسلامية للحضارة الغربية والتراث الإسلامى للتراث المسيحى وتركت هذه آثارها البعيدة فى

* مروان بحيرى ـ الدراسات الاستعمارية فى الاحياء الإسلامى فى القرن ١٩.

المجتمعات الإسلامية»*.

يقول لورانس براون: «لقد كنا نخوّف بشعوب مختلفة، ولكننا بعد الاختبار لم نجد مبرراً لهذا الخوف، لقد كنا نخوّف من قبل بالخطر اليهودى والخطر الأصفر وبالخطر البلشفى إلا أن هذا التخويف كله لم نجده كما تخيلناه، إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا اللدود، ثم رأينا البلاشفة حلفا لنا، أما الشعوب الصفر «الصين، اليابان» فإنها ليست خطيرة لهذه الدرجة، ولكن الخطر الحقيقى كان فى نظام الإسلام وفى قدرته على التوسع والإخضاع، وفى حيويته، إنه الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الأوروبى»**.

ويقول مورو بيرجر في كتابه «العالم العربى»: «لقد ثبت تاريخيا أن قوة العرب تعنى قوة الإسلام فليدمروا العرب ليدمروا بتدميرهم الإسلام»***.

ويضيف مورو بيرجر: «إن الخوف من العرب واهتمامنا بالأمة العربية ليس ناتجاً عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام، ويجب محاربة الإسلام للحيلولة دون وحدة العرب التى تؤدى إلى قوة العرب، لأن قوة العرب تتصاحب دائماً مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره»****.

ويقول ج. سيمون: «إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السمر وتساعدهم على التخلص من السيطرة الأوروبية»*****.

ويقول سالازار دكتاتور البرتغال السابق: «إن الخطر الحقيقى على

---

* نقلاً عن عبدالوارث سعيد «أمتنا والنظام العالمى الجديد».

** د. مصطفى الخالدى، د. عمر فروخ ـ التبشير والاستعمار.

*** جلال العالم ـ قادة الغرب يقولون ـ المختار الإسلامى.

**** محمد محمد الدهان ـ قوى الشر المتحالفة ـ دار الوفاء.

***** د. عمر فروخ ـ مرجع سابق.

حضارتنا هو الذى يمكن أن يحدثه المسلمون حين يغيرون نظام العالم»! ولما سأله أحد الصحفيين: ولكن المسلمين مشغولون بخلافاتهم عنا.. أجابه: «أخشى أن يخرج من بينهم من يوجه خلافهم إلينا»*.

ويقول ريتشارد هرير دكمجيان: «إن قلة فقط خارج نطاق العالم الإسلامى كانت قادرة على توقع انبعاث إسلامى فى البيئة المعاصرة إن ضعف البصيرة فى مجال التصور الذى أحدثته المادية الغربية والماركسية قد أعمى بقوة كل العلماء ورجال الدين الذين مالوا إلى استبعاد قوة الإسلام أو التقليل من شأنها»**.

ويحذر المفكر الألمانى باول شمتز قائلاً: «سيعيد التاريخ نفسه مبتدئاً من الشرق، عوداً على بدء من المنطقة التى قامت فيها القوة العالمية الإسلامية فى الصدر الأول للإسلام وستظهر هذه القوة التى تكمن فى تماسك الإسلام ووحدته العسكرية، وستثبت هذه القوة وجودها، إذا ما أدرك المسلمون كيفية استخراجها والاستفادة منها وستقلب موازين القوى لأنها قائمة على أسس لا تتوافر فى غيرها من تيارات القوى العالمية»***

ويقول المفكر الانجليزى هيلد بيلوك: « لا يساورنى أدنى شك فى أن الحضارة التى ترتبط أجزاؤها برباط متين وتتماسك أطرافها تماسكاً قوياً، وتحمل فى طياتها عقيدة مثل الإسلام لا ينتظرها مستقبل باهر فحسب بل ستكون أيضاً خطراً على أعدائه»****.

وما بين الحقد على الإسلام، وكراهيته، والدعوة إلى تدميره والقضاء عليه أو التخويف منه ومن خطره التى تسود الروح الفكرية الأوروبية

---

* جلال العالم ـ مصدر سابق.

** ريتشارد هرير دكمجيان ـ الأصولية فى العالم العربى ـ ترجمة عبدالوارث سعيد ـ دار الوفاء.

*** باول شمتز ـ نقلاً عن عبدالوارث سعيد ـ أمتنا والنظام العالمى الجديد.

**** نقلاً عن عبدالوارث سعيد ـ مصدر سابق.

على اختلاف مدارسها هل هناك فرصة للتعاون بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية؟.. الإجابة: هذا صعب بالطبع.

* * *

وإذا تركنا كل ما سبق والتفتنا قليلاً للتاريخ، نجده مفعماً بالصراع الدامى الذى خاضته الحضارة الأوروبية ضد الإسلام للقضاء عليه وخاضه الإسلام دفاعاً عن نفسه ونشراً لقيمه وإنقاذاً للعالم من الظلم والطغيان.

خاض الإسلام معارك شرسة ضد الحضارة الأوروبية المتوحشة منذ اللحظة الأولى واستطاعت جيوش الإسلام أن تنتصر فى اليرموك وعمورية وحطين، ثم بدأت أوروبا تستعيد المبادرة فظهرت الحروب الصليبية بدءاً من سنة ١٠٩٥ وحتى ١٢٩٣ فى المشرق العربى أما فى المغرب العربى فإن الإسلام استطاع أن يفتح افريقيا والأندلس.

واستمرت المعارك مع الحضارة الغربية فى الأندلس ثمانية قرون وفى بلاد المغرب العربى ألف عام* قبل دخول الأندلس وأثناء الحكم الإسلامى للأندلس وبعد سقوط الأندلس، ولم يتوقف الصراع مع الحضارة الغربية لا فى الشرق ولا فى الغرب، ففى الشرق ظهرت الخلافة العثمانية واستطاعت أن تنقذ العام الإسلامى من السقوط، ودخلت فى معارك طاحنة مع أوروبا إنتهت بفتح القسطنطينية ١٤٥٣ على يد محمد الفاتح، بل وانتشرت جيوش الإسلام فى أوروبا إبان مجد الدولة العثمانية ووصلت إلى أسوار فيينا وروما، ثم بدأت أوروبا مرة أخرى تعاود الهجوم، وتعرضت الخلافة العثمانية إلى ضغط رهيب إنتهى بسقوطها، وقبل ذلك بقليل بدأت أوروبا حملتها الصليبية الثانية على العالم الإسلامى والمسماه باسم

* يطلق عليها أهل المغرب حرب الألف عام ـ راجع كتابنا «الجزائر تعود إلى محمد» ـ دار المختار الإسلامى..

الاستعمار بدءاً من هجوم نابليون ١٧٩٨ وانتهاء بسقوط معظم بلاد العالم الإسلامى فى قبضة الإحتلال الأوروبى، وفى المغرب العربى ظلت أوروبا ترسل حملاتها الصليبية إلى المغرب بعد سقوط الأندلس، فتعرضت الجزائر وحدها إلى ١٠٠ حملة صليبية فى أقل من ٣٠٠ عام بعضها برتغالى والآخر فرنسى أو إنجليزى أو أسبانى أو ألمانى أو بلجيكى بل وحتى أمريكى وانتهى الأمر بسقوط الجزائر فى يد الإستعمار الفرنسى ١٨٣٠ ثم تبعها المغرب وتونس.

إذن فبرغم أننا لا نرفض التعاون مع الحضارة الأوروبية فى إطار الاستقلال الحضارى لكل منا، إلا أنه لا التركيبة الحضارية الغربية تسمح بذلك ولا رأى قادتها فينا وأهدافهم تجاهنا تسمح بذلك، ولا تداعيات التاريخ القديم والحديث تسمح بذلك، وبالتالى لكى نعيش، لكى لا نخضع ونذوب وننتهى لابد من المواجهة.

* * *

حرب شاملة فى مواجهة حرب شاملة ..

إذن فالمعركة حتمية، ولا سبيل هناك إلا المواجهة، أو الموت، وحتى المواجهة مع الهزيمة ربما تعطينا الفرصة فى الصمود والحفاظ على البذور صالحة تحت التربة لتعود من جديد لتثمر فى مرحلة أخرى، ولكن الإنصياع والخضوع لا يعنى فقط خسائر هائلة فى الحاضر بل يعني تدمير المستقبل، لأنها تطال البذور الكامنة تحت التربة.

والمعركة هنا معركة حضارية شاملة، أى سياسية واقتصادية واجتماعية وعسكرية وثقافية، والغرب يستخدم معنا كل الوسائل السياسية والعسكرية، والاقتصادية والاجتماعية، والثقافية أيضاً، وما دام الغرب يشن علينا حرباً شاملة فلابد من مواجهته بحرب شاملة، نواجهه بالكفاح

المسلح والحرب الشعبية، ونواجهه بالوسائل السياسية ونواجهه برفض الخضوع لوسائل النهب التى يمارسها ومن خلال بناء نمط اقتصادى مستقل وغير تابع ويعتمد على قوانا الذاتية ويقطع تماماً خيوط التبعية مع الغرب، ونواجهه أيضاً بتصفية كل مراكز الثقافة المغتربة وكل أشكال الإختراق الثقافى، ونواجهه بثورة ثقافية شاملة تعتمد على تأكيد قيمنا الحضارية، ونواجهه بالوحدة، ورفض التجزئة التى فرضها علينا، ونواجهه بتعبئة شعبية شاملة، ونواجهه بحرب حضارية شاملة فى مواجهة حرب حضارية شاملة.

ويجب أن ننتبه هنا إلى نقطة خطيرة، وهى أن أخطر هذه المواجهات هى على الجانب الثقافى، لأن الإختراق الثقافى يدمر حيوتنا من الداخل ويقلل قدرتنا على المواجهة ويضرب فينا قيمنا الإيجابية مثل الجهاد والوحدة والرفض وبالتالى يجعلنا عاجزين عن المواجهة فى المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية، ولابد أن ننتبه أنه ما دامت الحرب حضارية وشاملة فليس من المعقول مثلاً أن نستخدم قيماً ووسائل واستراتيجيات مستمدة من الغرب لمحاربته بها ومهما كانت براقة فإنها لن تجدى فى مواجهته، فكيف أواجهه على أرضيته الثقافية والحضارية، لابد أن أواجهه بأساليب وتكتيكات وقيم ووسائل واستراتيجيات مستمدة من ذاتنا حتى تظل قادرة على الإستمرار.

* * *

هناك من يروجون بأنه لا قدرة ولا سبيل إلى مواجهة الغرب وأمريكا وأن توازن القوى مختل تماماً لصالحهم وأنه لا داعى للمواجهة لأنها لن تفيد وأنه من الأفضل الخضوع أو البحث عن سبيل للتفاهم، وإذا كنا ندرك أنه لا سبيل للتفاهم فإن المتاح وفقاً لمنطق هؤلاء هو الخضوع فقط،

وحتى إذا سلمنا بصحة مقدمة هؤلاء وهى أن الغرب وأمريكا أقوياء بدرجة لا يمكن مواجهتها، فإن النتيجة التى توصلوا إليها خطأ، لأن معنى مثل هذه القوة الهائلة للغرب وأمريكا أن الخضوع لهم سيؤدى إلى النهاية والموت والإندثار، وأن الخضوع لن ينقذنا ولن يحقن دمائنا، بل إن الخضوع سيتسبب فى خسائر أكثر كثيراً من المواجهة حتى ولو كانت غير متكافئة، على الأقل فالمواجهة سوف تقلل الخسائر وسوف تسمح للبذور الكامنة تحت التربة بالبقاء بعيداً عن يد الغرب فتعود لتثمر فى فرصة أخرى مستقبلية.

وبالإضافة إلى ذلك فإن الحضارة الغربية تحمل فى داخلها الكثير من نقاط الضعف التى ينبغى الصمود واستثمارها أو الصمود وانتظار أن تؤدى تلك المواقع الضعيفة فى جسد الحضارة الغربية إلى انفجار داخلى، فالإنسان فى الحضارة الأوروبية مثلاً يفتقد التوازن بين حاجاته المختلفة ويفتقد إلى التوازن فى علاقاته مع الجماعة، وهذا يؤدى إلى انتشار الأمراض النفسية والجريمة والإنحراف والشذوذ الجنسى وزيادة استهلاك الخمور والمخدرات إلى حدود أصبحت تهدد حياة مئات الملايين من سكان أوروبا وأمريكا وهو ما يمكن أن يؤدى على المدى المتوسط أو الطويل إلى انهيار الحضارة الغربية داخلها، أضف إلى ذلك أن الرغبة فى تحقيق أقصى قدر من النهب وبالتالى عدم التورع عن استعمال أقصى قدر من العنف ومع تزايد قوة الأسلحة الفتاكة يجعل العجلة العسكرية تدور بلا توقف مما يجعلها فى النهاية قابلة للإنفجار من داخلها أو بالتصادم مع بعضها البعض وإذا كانت الحرب العالمية الثانية التى نشأت بسبب التنافس على الربح بين دول كلها تنتمى إلى الحضارة الغربية قد أدت إلى قتل ٦٢ مليون إنسان معظمهم من الأوروبيين فكم يا ترى سوف يقتل فى المعركة

المقبلة إذا ما احتدمت هذه المعركة بنفس السبب السابق بين نفس الدول السابقة؟! مع العلم أن القدرات التدميرية لتلك الدول أصبحت هائلة بالمقارنة إلى مثيلتها أثناء الحرب العالمية الثانية، وبالإضافة إلى ذلك فإن الرغبة فى الربح بدون وازع أخلاقى ولا مراعاة للتوازن البيئى يمكن أن تؤدى إلى كارثة تهدد كوكب الأرض بأكمله.

ويلخص الأستاذ منير شفيق فى كتابه «الإسلام فى معركة الحضارة نقاط الضعف فى الحضارة الغربية كالتالى:

١ ـ التطور العام غير المتوازن بالنسبة إلى مختلف المجالات، فقد تكثف فى المجالات المادية واختل على مستوى العلاقات الإنسانية والأخلاقية مما يؤدى بالنهاية إلى الإسراع بسقوطها لأن حالها يصبح كحال الذى يقف على قدم واحدة ، فمهما بلغت قدمه من القوة إلا أنها ضعيفة حين يتعرض الجسد كله إلى هزة قوية.

٢ ـ اتسعت الهوة بين أصحاب تلك الحضارة والغالبية العظمى من شعوب العالم مما دفع بها إلى مواجهة قوى لا قبل لها عليها، فالأقلية الظالمة مهما قويت وتمكنت تظل ضعيفة أمام قوة الأغلبية المظلومة صاحبة الحق، فالتضاد مع حقوق غالبية الشعوب ومصالحها يؤدى إلى انهيار تلك الحضارة مهما طال الزمن.

٣ ـ التآكل الداخلى يشكل سمة أساسية مميزة لمجتمعات الحضارة الفرنجية سواء أكان ذلك على مستوى المجتمع منفرداً أم على مستوى صراع تلك المجتمعات فيما بينها، إن الصراع على امتلاك القوة والسيطرة والتنازع لامتلاك الثروة يؤديان بالإسراع بعملية التآكل الداخلى.

٤ ـ إن إطلاق الغرائز والنزعات البهيمية وانتشار الفساد والإنحلال قد يصل فى تلك الحضارة إلى ضعف داخلى شديد يجعلها غير قادرة حتى على الإفادة من قوتها المادية، مما قد يكرر صورة الجندى الرومانى الذى ربط بالسلاسل لكى لا يفر فى معركة اليرموك، على الرغم من الكثرة العددية للرومان فى تلك المعركة، وقوة دروعهم، وطول رماحهم ومضاء سيوفهم وفراهة خيولهم.

* * *

وقد يقول قائل إن الحضارة الغربية يمكن أن تعالج نقاط ضعفها أو تتخلص منها وبالتالى تجدد نفسها، وهذا القول يعكس جهل أصحابه بطبيعة وجوهر الحضارة الغربية وطبيعة وجوهر نقاط الضعف فيها، لأن نقاط الضعف هنا هى من صميم وجوهر الحضارة الغربية وليس عارضاً عليها ولا ناشئاً من عوامل جانبية أو إهمال من القواد أو غيرها إنها تنبع من داخلها ومن صميمها بطريقة تلقائية وحتمية بحيث أنه من المستحيل عليها معالجتها أو التخلص منها، وإذا حاول أهل الحضارة الغربية التخلص من تلك العيوب فإنهم سيتخلصون من الحضارة الغربية ذاتها.

فمثلاً إن السعى لتحقيق أقصى درجات القوة العنيفة المادية من أجل السيطرة على العالم ونهب ثرواته بلا حدود يجعل تلك الحضارة تدرس على كل القيم والمعايير التى تتعارض مع هذا السعى، أو بتعبير آخر إن ذلك السعى يسخر كل شىء من أجله، وهذا فى حد ذاته يسمح بالتفوق فى مجالات محددة، وهذه نقطة قوة أساسية فى الحضارة الغربية، وهى أيضاً سبب انهيارها المتوقع فى مجالات أخرى، المجالات الأخلاقية والنفسية والإنسانية واندلاع أشد الصراعات الداخلية والخارجية مما يشكل بدوره نقطة الضعف المركزية فى هذه الحضارة، إن نقطتى القوة والضعف

المتولدتين عن تلك السمة الأساسية فى الحضارة الغربية سيصلان فى نهاية المطاف إلى تدميرها إن لم يعرضا مستقبل الإنسانية كلها إلى خطر قريب من شبه الإبادة الجماعية»*.

ومثل آخر أنه إذا حاول نظام حكم عنصرى التخلص من عنصريته، فإنه فى الحقيقة يتخلص من نفسه، لأن العنصرية هنا هى التى شيدت بنائه وهى التى تسمح له بالإستمرار، فلولا النهب والإسترقاق والفصل العنصرى لما كان هذا النظام العنصرى قد نشأ ولما كان حقق لنفسه هذا الرخاء ولما استطاع أن يستمر لحظة بعد التخلص من العنصرية.

* منير شفيق ـ مرجع سابق .

obeikandl.com